13 me Année No. 632

Lundi - 13 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٣٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ رمضان سنة ١٣٦٤ — ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

روسيا والشرق

في السياسة الدولية

الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

إن لآسية شأناً عظيماً في حياة أوربة التي تنتفع بثروات هذه القارة وتعرف قيمتها؛ ولما كثرت مسائل الشرق الأدنى والشرق الأوسط وتشابكت، وأصبح فهمها على حقائقها وإدراك أخطارها يوجبان النظر في أصلها القديم وفي ما يؤثر فيها من عوامل لمنافع الدول المستعمرة المختلفة ومصالحها ومطامعها وتنافسها، وفي تعارض مساعي هذه الدول أو توافقها في مواقف السياسة الدولية تبعاً للأحوال والضرورات

فما يقع في هذين الشرقين من الحوادث السياسية ليس يتبين على حقيقته كلها للنظر السطحي في صورته الظاهرة المزخرفة بألوان من الدعايات ومن وحي الأغراض أو الأهواء أو المجازيات أو المسايرات. ولا بد لمعرفة الحقيقة المنشودة من تأمل هذه الحوادث في ضوء ينشره عليها البحث في الدوافع الطبيعية وفي تنافس المستعمرين ومصالحهم الأساسية

يزحف الأسيويون إلى الغرب والغربيون إلى الشرق من القِدَم. ولهذا التزاحف أسباب طبيعية وفطرية، ودواع من مصالح أساسية حيوية وراء العلل الظاهرة والحجج السياسية.

ومن هذه الأسباب والدواعي والعلل نشأ ما سموه مسألة الشرق. ويمكن رد نشأتها إلى العصر العهيد الذي وقعت فيه حرب طروادة، وقد اختلفت أوضاعها في مجرى التاريخ، وهي من أجل مسائل السياسة الدولية شأناً منذ فتح العثمانيون قسطنطينية عام ١٤٥٣. وكان موضوع المسألة في ذلك العهد دفع العثمانيين عن أرض أوربة إلى آسية، فلما بدأ ضعف امبراطوريتهم صار موضوع المسألة: لمن يكون إرث استنبول العظيم؟

اهتمت مسألة الشرق في أول الأمر دول النمسا وروسيا والقاتكان، ثم أخذت من صدر القرن التاسع عشر تهم فرنسا وانجلترا رأساً، فقد قوى موقف النمسا أمام العثمانيين في الثلث الأول من القرن الثامن عشر، ونالت منهم روسيا في ذلك القرن منافع كبيرات، فصار موضوع المسألة: هل تحفظ أوربة كيان الدولة العثمانية أو تتركها للتهديم؟ لأن التهديم معناه الانتهاب وطغيان المنتهب وسيادته، أو خطر الاختلاف في الاقتسام. وقد عظم شأن هذا الأساس من المسألة بالتضاد الدائم بين الترك والعناصر المسيحية البلقانية التي كانت خاضعة لحكمهم ثم حررت تباعاً، وبالنزعة الروسية إلى الاستيلاء على استنبول

فمن المأثور عند الروس ما يجعل لهم هذه النزعة المزمنة إلى الاستيلاء على استنبول، وأقدم حججهم في ذلك أن بوزنطة آلت إليهم بالإرث، وأن روسيا الأرثوذكسية هي حامية الأرثوذكس: لأن إفان الثالث غراندوق روسيا [1] تزوج عام ١٤٧٢ الأميرة

(١) أما لقب قيصر، فان أول من اتخذه في روسيا إفان الرابع

سوفى يوزج ابنة أخى قسطنطين آخر أباطرة قسطنطينية العاصمة الأرثوذكسية ؛ ولما تزوج علن هذه الأميرة ادعى للساعة أنه وارث هؤلاء الأباطرة ، واتخذ النسر ذا الرأسين شعاراً له ، وأعلن أنه سينتقم من الترك للأرثوذكسية ، وبهذه الصورة بدت مسألة الشرق المشهورة فى صدر التاريخ الحديث . والحقيقة أن استنبول بموقعها الجميل وسلة كبيرة الشأن بين أوربة وآسية ، وإن من أكبر مصالح روسيا الوصول إلى البحر المتوسط ، لأن منافذها الشمالية إلى البحار تجمد ثمانية أشهر فى العام . ولكن الدول الغربية ، وخصوصاً انجلترا حالت دون وصول الروس إلى استنبول والبحر المتوسط . والسبب هو أن زحف دولة كروسيا فى البلقان وامتلاكها مفتاح هذا البحر يردانها دولة بحرية ويزيدان شوكتها وسيادتها ، وقد تتوغل بعد ذلك فى الأناضول ووادى الفرات ، وتصل إلى الخليج الفارسى ، وفى هذا كله خطر على الهند وشرق البحر المتوسط ، وطرق الامبراطورية البريطانية

وقد طرحت مسألة الشرق مراراً من أوائل القرن السابق ، وخفف من خطرها تقرير الدول مبدأ حفظ كيان الامبراطورية العثمانية وقيام دويلات البلقان حواجز بين النمسا وروسيا وتركيا . لكن المسألة لم يزل خطرها ، بل ظل كامناً يبدو بين حين وحين

ولما هزمت الدولة العثمانية فى الحرب الكبيرة الماضية ، واحتلت انجلترا مع حلفائها استنبول انعكس وضع المسألة : إذ لم يبق الغرض إخراج الترك من أوربة ، بل عاد إبقاؤهم فيها لصيانة حرية المضايق تحت حكمهم — مع بعض الضمان منهم — ومنعاً لدولة عظيمة أن تتسلط ، مباشرة أو بوساطة ، على العالم بأسره

من ذلك الماضى تسلسلت مسألتا تراقية وأرمينية ، ومسائل سورية وغيرها من بلاد الشرقين الأدنى والأوسط

وحقيق بالذكر ههنا أن مسألة الشرق جاوزت حدود أوضاعها المتقدم بيانها ، إذ « كانت منذ انتهاء القرن الثامن عشر كأنها مسألة اقتسام الدول الأوربية لآسية واستعمارهذه القارة ؛ فصارت بعد قهر اليابان لروسيا عام ١٩٠٥ مسألة ثورة آسية على سادتها الأوربيين . فلم يكن الشأن هزم اليابانيين للروسيين ، أو كسر دولة لدولة ، بل كان شيئاً عظيماً غريباً هو انتصار عالم على عالم آخر ، وثأرا بالإذلال الذى أريدت آسية أجيالا مديدة على احتماله ، وأول أمل الشعوب الشرقية » . وقد أفاضت الصحف اليابانية يومئذ كلامها فى هذا المعنى حتى قالت إحداها : « كان المسلم به حتى الأمس القريب أن مسألة الشرق يجب ألا يحلها سوى الأوربيين أو الأمريكيين ، ونحن نعرف من الآن فصاعداً أن اليابان تحلها والأوربيون والأمريكيون ملازمون المقام الثانى »

ذهبت الدول فى الاستعمار إلى البلاد النائية . أما روسيا ، فإن محلها الجغرافى جعلها تستعمر ما يجاورها متدرجة من بلاد جار إلى بلاد جارة ، متجهة بحسب تقاليدها إلى الشرق الأسيوى وإلى الجنوب ، ولم يعترض هذا التوسع عائق ذو شأن جدى حتى أوائل القرن التاسع عشر

كان الذى يهم امبراطورية القياصرة ، قبل كل شىء ، هو الزحف التقليدى إلى قسطنطينية ، وكان يبدو أن انتصاراتها على العثمانيين تضمن لها الفوز فى نهاية الأمر بتركة الرجل المريض[1] ، فظنت روسيا بعيد منتصف القرن الماضى أن الفرصة سانحة وأثارت حرب القرم ، لكن انجلترا وفرنسا اعترضتا لها ، فتقهقرت وانقطع عليها أحد سبيليها القديمين

ذلك سبب الجهود المتواصلة التى بذلتها روسيا فى دعم سيادتها — نهائياً على آسية الوسطى القريبة من الهند ، لتحتفز وتتوثب على عدوتها انجلترا ، وفى توطيد سلطانها على القوقاز القريب من آسية التركية ليقصر طريق غزوها . ولما خابت الجامعة الصقلبية فى البلقان اتجه الاستعمار الروسى إلى إيجاد جامعة أسيوية ليعتز بوحدة من القوميات ، ثم ترددت روسيا بين أن تفتح نوافذها فتحاً تاماً على أوربة وأن تتوغل فى آسية ، وعالجت أن تقوم بالأمرين ، فصادفت فى زحفها إلى الشرق الأقصى خصماً جديداً هو اليابان ، على حين أخذت المنافسة الإنجليزية الروسية فى الهدوء ، حتى سكنت بعد انتصار اليابان على الروس ، فجاءت معاهدة عام ١٩٠٧ — التى قسمت إيران ثلاث مناطق : واحدة شمالية للنفوذ الروسى ، وأخرى جنوبية للنفوذ الإنجليزى ، والثالثة حيادية فاصلة بينهما ، والنقط فى كل منهما ، وكان ذلك تأميناً لحدود الهند واستعداداً لمواجهة الألمان قبل الحرب الكبيرة الماضية التى جاء بنذرها منطق الحوادث الدولية ، ثم دخلت روسيا تلك الحرب إلى جانب الحلفاء لقمع الجرمان

وقد ورد فى مذكرات السير بكنان سفير انجلترا فى روسيا يومئذ أن الملك جورج الخامس قال فى ١٢ نوفمبر عام ١٩١٤

(١)- الرجل المريض استعارة عنى بها اسكندر الثانى للدولة العثمانية المستضعفة

للكونت بركندورف السفير الروسي : « يجب أن تكون استنبول لكم » Constantinople must be yours ، وإنه على وفاق مع وزرائه فى ذلك

وهذه كلمة توافق حلم الروس الدائم ، وتشجعهم وتقوى ثقتهم بحلفائهم ، وكان الإنجليز قد عزموا على اقتسام الامبراطورية العثمانية والحصول منها على نصيب الأسد بسبب انضمامها إلى الألمان فى الحرب ونفوذ هؤلاء فيها وبينهم فى بلاد الرافدين التى تغنيهم إن هم استعمروها وتدنيهم من الخليج الفارسى والهند ، فوافق الإنجليز على تحقيق أمنية الروس ، وشرطوا لذلك إنشاء دولة عربية إسلامية كبيرة ، أو جامعة دول عربية إسلامية يقيمونها فى الشرق الأدنى صيانة بمعاونتهم للطرق إلى الهند وسداً ، فى زعمهم ، أمام الترك على حين يعترض الروس باستنبول فى طريق زحف الألمان إلى الشرق العربى ، بل سداً أمام الروس أنفسهم فى حقيقة الأمر ، لأن ذلك الاقتسام يحصر الترك فى منطقة على البحر الأسود تحدق بها أنصبة المقتسمين

لكن حدث فى فبراير عام ١٩١٥ أن تردد فى لندن وباريس كلام فى صلح منفصل مع تركيا ، وقيل فى الدوائر الليالة للجرمان فى بتروجراد بشأن مشروع حملة الدردنيل أن الغرض منها إنما هو التفادى من وقوع المضايق فى قبضة روسيا ، فرأيها ذلك كله ، وزاد ارتيابها أن فنزيلوس عرض على انجلترا وفرنسا استمداد اليونان للمعاونة فى الحملة ، فأخبر ميزانوف وزير خارجية روسيا السير بكنان بأنها تعارض فى قبول العون اليونانى ، وأبلغ الملك قسطنطين أن روسيا لا تسمح فى أية حال بدخوله استنبول على رأس جيشه ، وعرفت ألمانيا هذه الأمور فعرضت على روسيا صلحاً منفصلا مقابل إعطائها استنبول والمضايق — كأن هذه المنطقة الحيوية ليست ملك الدولة العثمانية المحاربة فى جانب الألمان .

أصبح الحلف الثلاثى حينئذ فى خطر حقيق حتى أن الأمير تروبتسكى قال لميزانوف : « يجب أن نملك المضايق ، فإذا أمكن أن نحصل عليها مع انجلترا وفرنسا ضد ألمانيا ، فهذا حسن ، وإلا كان الأجدر أن نقبلها من ألمانيا ضدهما » ؛ ولذا طلبت روسيا إتمام الاتفاق مع حليفتيها على اقتسام الامبراطورية العثمانية طبقاً للأسس التى كانوا ارتضوها باتفاقات ومذكرات دبلوماسية متبادلة بينهم ؛ وأكدت أن كل حل للمسائل المتعلقة بالاقتسام سيكون مزعزعاً إن لم يدخل فى نصيب روسيا : استنبول وضفة البسفور الأوربية وبحر مرمرة والدردنيل وتراقيا الجنوبية إلى خط يمتد فى شمالها بين إينوس وميديا ؛ وكذلك جزء من الضفة الآسيوية بين البسفور ونهر سقاريا وموقع يعين بعد خارج الدردنيل ؛ ثم جزر بحر مرمرة وجزيرتا إمبروس وتيندوس ، إذ لا غناء لروسيا فى زعمها عن هذا كله من الجهة الاستراتيجية

قبل كل من انجلترا وفرنسا إتمام الاتفاق ورفضتا العون اليونانى فى حملة الدردنيل التى أخفقت فى النهاية

ثم سلم كل من الدولتين ، بعد المفاوضة ، بمآثر طلبات روسيا أمام خطر التطور فى الرأى الروسى بسبب خيبة الأمل فى بتروجراد لإخفاق جميع المحاولات الإنجليزية الفرنسية فى الدردنيل . وقد أظهر الروس غيظهم من توقع الجلاء عن شبه جزيرة غاليبولى، وسمع فى بعض البيئات الروسية تلميح إلى أن الجيوش المسكوفية سوف لا تجلى بعد الحرب عن الأراضى التى كانت تتأهب يومئذ لغزوها فى أرمينية وجهة الموصل ، وهى من بلاد البترول

ومما شرطته روسيا فى اتفاقاتها مع حليفتيها أن تضم مناطق ارضروم وفان وبتليس ، حتى أردو على شاطئ البحر الأسود غربى طربزون ؛ وتضم قسما من أرمينية وقسما من كردستان .

هذا ، وفى ٨ مارس عام ١٩١٤ صرح نقولا الثانى وميزانوف لموريس سفير فرنسا بأن روسيا تترك لها حرية التصرف فى سورية وقيلقية ؛ ولكنها لا تترك أبداً للدولة غير أرثوذكسية أن تجعل تحت حمايتها القدس والجليل والأردن وبحيرة طبرية

وقد تم اقتسام الامبراطورية العثمانية بين الحلفاء فى ثلاثة أعوام هى ١٩١٥ و١٩١٦ و١٩١٧ ، ولم يتركوا لتركيا غير أرض شكلها شبه منحرف رؤوس زواياه أردو على البحر وسيواس وافيون قره حصار وبرصة ، ومنها قوس تمتد حول ركن البسفور ، ولولا الثورة الروسية ، ثم الثورة الكمالية ، لنفذت الاتفاقات التى تضمنت هذا الاقتسام . ولقد أسفت انجلترا لتركها استنبول لروسيا ساعة الخطر، لكن حكومة الثورة الروسية أرضت انجلترا إذ وعدتها بالعدول عن طلب استنبول

* * *

بعد الثورة الروسية أصبحت السلطة كلها فى يد حزب واحد يتولاها لنفعه ، وكانت من قبل بيد طبقة تباشرها فى سبيل مصلحتها . أما الحرية ، فلم تكسب شيئاً ولم تخسر شيئاً فى روسيا بانتقالها من القيصرية إلى الشيوعية ، وقد اتجهت سياسة التوسع

الروسية إلى البحث عن الأرخ للاتحاد السفيتى من الأسواق فى ادّخار المواد الأولية وترويج مصنوعات بلاده

بحث الاتحاد عن هذه الأسواق فى آسية وفى أوربة ، جرّه ذلك إلى إخفاء دعايته السياسية الشيوعية ، وإلى الوقوف فى العلاقات الدولية موقف دولة كالدول الأخر قادرة على تدبير شؤونها تدبيراً رجوازياً . ولقد أهمل الشيوعيون عدداً من مثلهم العليا التى أحدثوا ثورتهم باسمها ، ومن أعلى ما أهملوا المبدأ السالم المضاد للنظم العسكرية والمبدأ المحبذ لاشتراكية دولية على حساب الوطنية . وروسيا اليوم أكثر الدول اعتماداً فى نظامها السياسى على الجيش ، وحكامها الشيوعيون محتفظون بما كان للقياصرة من أقوى روح وطنى فى العالم

ومن أقوى أسباب التطور السفيتى خيفة الحرب مع ألمانيا واليابان التى انتهزت فرصة ضعف روسيا العسكرى بعد ثورتها وقبل استعدادها ، فغزت مندشوريا شيئاً فشيئاً ، وهذد داخلة كالوتد بين ثغر فلادفستوك وشرق منطقة بايكال ، ثم أعلنت اليابان استقلال مندشوكو وأرغمت موسكو على الاعتراف به ، وهدد تقدم اليابان منغوليا التى يحميها السوفيت ، حتى توترت العلاقات بين الدولتين عام ١٩٣٤ ، وبدا أن نشوب الحرب بينهما كرة ثانية وشيك . لكن الاتحاد سلم مرة أخرى وترك اليابان تعمل ما تشاء فى مندشوريا ، على أنه أنشأ جيشاً خاصاً للشرق الأقصى وقاعدة جوية قوية فى فلادفستوك يقى بهما ولايته البحرية القصية من طمع اليابان

عاد الاتحاد السفيتى فى ميدانه الأسيوى إلى العمل بالأثور عند الروس ، فشابه حكومة روسيا القيصرية المقدسة فى أمانيها وطمعها بإيجاد جامعة أسيوية تتحد فيها الشعوب الصقلية والشرقية لتصبح مجموعاً عظيما أوربيا أسيويا سمى أوراسيا Eurasie

وقد قال لنين فى مؤتمر الشعوب الصقلية والشرقية الذى عقده فى باكو عام ١٩٢٠ : « إنكم بالشرق تبلغون الغرض من الغرض »

وجملة القول أن الاتحاد السفيتى الوارث لمذهب آل رومانوف التسلطى قد استأنف الزحف إلى الشرق والتصوب إلى الجنوب منتظراً أن تمكنه الأحوال من العودة إلى محاولة نشر الشيوعية فى العالم

لقد وصل الاتحاد إلى برلين واحتل جزءاً عظيما من أوربة ، وإن أتيح له الاستيلاء على استنبول وما حولها ، فقد يحاول الزحف إلى العراق ومصر والهند ، لكنه كمن سبقه يحتك فى الشرق والجنوب بمنافسين وخصوم لم تخمد حماستهم ، والجامعة الآسيوية السفيتية تهيأ إذن للهجوم أو اصد هجمات عنيفة

فهل يواجه الاتحاد خصومه فى آن معاً ، أو يساوم كل خصم فى الاستعانة ببعضهم على بعض ، أو يؤثر التسويات مؤقتاً مسترسلا فى سياسة فتح الأسواق وادخار المواد ريثما يستجمع له الأمر لتهر الغرب بالشرق والشرق بالغرب ؟ وما ذا تهيئ له الأقدار ؟ أخيراً أم شراً ؟

ومن أناس كثيرين أن يجمع الأقطاب فى بتسدام على أساليب عملية ينفذون بها النظام الموضوع فى سان فرنسيسكو ، ولكن هذا الإجماع معلق بالطبع على التوفيق أولا بين مصالح دولهم الحيوية . ومثل هذا التوفيق ، إذا تيسر ، إنما يكون اقتساماً للبلاد يقال أن شعوبها سينعم عيشهم فى ظله ، وتسعدهم سياسة الجوار الحسن التى ابتدعتها أمريكا بديلا من الامبراطورية ، فتتعاقب أجيال الإنسانية سامية فى بلهنية إلى ذروة مثلها الأعلى من السلام الأبدى إن شاء الله !

محمد توفيق السلحدار

ليلى والعبيط

و

يحيى

هى قصة اليوم

قصة النفس الحائرة

قصة الأديب الشقى السعيد

قصة الحياة كما هى

قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر فى ٢٧٢ صفحة

ثمنها ٢٥ قرشاً — تولى نشرها المؤلف

تطلب من : مكتبة المعارف ، والنهضة ، والانجلو ، والأهلية والتجارية ، وغيرها .

المؤلف : الياس عكاوى ١٢ شارع فؤاد الأول القاهرة تليفون ٤٣٩٠٩